# من ثنايا التاريخ

## آثار الحرب السبعينية

### فى حياة أوروبا الحديثة

كانت الحرب السبعينية سببا فى قلب حالة مستقرة ألفتها أوروبا أكثر من مائتى عام ، مهيضة الجناح بعد حرب الثلاثين فى القرن السابع عشر ، فكانت من الوجهة الاقتصادية منهوكة القوى بعد أن وطئت أرضها أوربا بأسرها ، ومن الوجهة السياسية ضعيفة من جراء انقسامها إلى عدة ولايات غير متناسقه تختلف فى الحجم والخلق ، ومن تزايد التنافس على الزعامة بين بيت ها بسبورج الآخذ فى الانحلال وبيت هوهنزلرن الآخذ فى أسباب القوة ، ولذا كانت خاضعة على التوالى لسياسة ريشليو ومازاران ، وهى السياسة التى كانت ترمى إلى إبقائها فى هذا الضعف والانقسام ؛ بل كانت أحيانا هدفا لغزو الجيوش الفرنسية وتقسيمها إياها كما حدث فى عهد لويس الرابع عشر ونابليون ، نعم إن بروسيا والنمسا فى القرن التاسع عشر وفى وقت كانتا مهددتين فيه بالخطر والاذلال ، تناستا مؤقتا تنافسهما ، وتضامنتا سويا بتأييد روسيا وانجلترا فى حرب التحرر لطرد نابليون وخلعه ، لكن موقعة واترلو لم تضع حدا لضعف ألمانيا فى الداخل ، فان اتحاد سنة ١٨١٥ المفكك واستمرار التحاسد بين النمسا وبروسيا قضى بأن تبقى ألمانيا عاجزة عديمة الشأن كقوة دولية ، وأخيرا اقتنع بسمارك فى برلمان فرنكفورت فى سنة ١٨٥٠ بأن لا أمل فى علاج ضعف ألمانيا إلا بحرب أخوية تطرد بها النمسا قوة واقتدارا من المجموعة الألمانية ، كما استطاع فى باريس وفى بيارتز أن يسبر مبلغ ضعف نابليون الثالث وطموحه ، وبذا ضم إقليم شلزفيج هولشتين ثم طرد النمسا بعد النصر الذى أحرزته بروسيا فى معركة ( سادوا ) ، وأنشأ ما يسمى بالاتحاد الألمانى الشمالى تحت إشراف بروسيا ، وأخيرا فى سنة ١٨٧٠ — ١٨٧١ تمكن بانتصاره فى سيدان وفرساى من تحويل ألمانيا إلى أمبراطورية متحدة قوية ، ومن ثم انقلب الموقف بين ألمانيا وفرنسا فلم تعد ألمانيا ضعيفة بل فرنسا التى صارت مهددة بخطر الغزو من وراء نهر الرين .

ولقد قوبل نجاح بسمارك فى توحيد ألمانيا بالارتياح ، واعتبر وقتئذ أنه عمل جليل من الأعمال الدالة على روح القومية ، ولكنه جاء مقترنا بضم الألزاس واللورين ، وهذا ما ظل الفرنسيون يشيرونه جريمة مزقت شمل أمة عزيقاً وحشياً ؛ على أن التاريخ قد أظهر أن هذا الضم كان أكثر من جريمة ، كان غلطة . ولقد قيل فى الدفاع عن بسمارك إنه لم يفعل أكثر من تحرير أراض سبق أن انتزعها لويس الرابع عشر من ألمانيا عند ما كانت ضعيفة منقسمة على نفسها ، والغالب دائما ينتزع من المغلوب ما يسمه انتزاعه من الأراضى ما لائم ذلك أغراضه ، ولقد أصر مولتكه وولاة الأمور العسكريون فى بروسيا على أن تكون الولايات الواقعة بين جبال الفوج ونهر الرين من ألمانيا تفاديا من إغارة فرنسا المتعطشة للانتقام على الولايات الألمانية الجنوبية التى لم تندمج فى الإمبراطورية الألمانية الحديثة اندماجاً مأمونا ، ولم تنضم إليها بدافع الرغبة القوية ، فلم يسع بسمارك كما قيل أن يعود إلى برلين صفر اليدين ليتعرض للاتهام بأنه أظهر نحو خلفاء لويس الرابع عشر وناپليون سخاء ينطوى على الضعف ، وليقابل مجلس الرخستاغ ويواجه إصرار الشعب على الاستيلاء على بعض الأراضى الفرنسية ، يضاف إلى هذا أن أهالى الاقليمين المضمومين كانوا يتكلمون الألمانيه ، وهذا قول لايخلو من دعابة ، لكن هناك قولا آخر أكثر انطواء على الصواب ، فالفرق كبير بين ضم فرنسا للاقليمين المذكورين فى القرن السابع عشر ، وضم بسمارك إياها فى سنة ١٨٧١ فبين هذين التاريخين يوجد عهد الثورة الفرنسية وما إليها من العوامل ، ولويس الرابع عشر عند ما استولى على الأقاليم الألزاسية لم يمزق ألمانيا لأنه لم يكن يوجد وقتئذ جسم ألمانى متحد ، بل كانت هناك مجموعة مختلطة من الولايات الألمانية المتنافسة ، والإمبراطورية الرومانية المقدسة لم تكن مقدسة ولا رومانية بل ولا إمبراطورية ، بل كانت عبارة عن جسم غير متجانس مجرد من الاحساس

أما الثورة الفرنسية فقد ألغت الحدود الأقليمية فى فرنسا ، وخلقت مكانها أمة فرنسا المتحدة الشاعرة بوجودها ، وفرنسا بما فيها الاقليمان المذكوران كانت جسما واحدا يشعر شعورا قويا بالوحدة وبالقومية ، فاذا أصيب عضو من أعضاء هذا الجسم بسوء تألم له الجسم كله ، فما فعله بسمارك هو أنه مثل بجسم حى ، ولذا لم يكن يمكن أن يلتئم الجرح بل على العكس ظل مفتوحا ينذر سلام أوروبا بالشر زهاء أربعين سنة ، يضاف إلى ذلك أن ضم الألزاس واللورين لم تكن تقتضيه مصلحة ألمانيا من الناحية العسكرية ، فلقد كان نهر الرين لايقل فى صلاحيته لتحديد التخوم عند جبال الفوج ، ولو أتيح لبسمارك أن ينظر إلى المستقبل فيرى أن كبرياء فرنسا وألمها لضياع الألزاس واللورين سيؤديان إلى إحباط كل سعى

لتوطيد العلاقات الألمانية الفرنسية على اساس ثابت ؛ ولو تمكن بأن ما يترتب من العواقب المباشرة وغير المباشرة على ضياع هذين الاقليمين ، ستكون من الأسباب الرئيسية للحرب العظمى الماضية ، لكان من المحتمل أن يفعل غير الذى فعل فى سنة ١٨٧١ ، ولكنه فى قدر ماوهبه الله من بعد النظر السياسى الخارق للعادة ، لايمكن أن يكون قد خطر له أن الفرنسيين لن يستسلموا لما فقدوا ، وأن تعطشهم للانتقام ، وإن لم تجر به ألسنتهم ، سوف ينمو على مر الأيام ، ويزداد حدة فيما يلى من السنين

وفى الواقع لقد كانت سياسة بسمارك فيما بين سنتى ١٨٧٥ و ١٨٨٥ ، سياسة من يخطب ود فرنسا وصداقتها مع النزول على حكم الواقع ، على أنه مهما كانت آماله بالنسبة للمستقبل فانه لم ينخدع فيما يتعلق بالحاضر ، فقد أدرك أن سخط الفرنسيين سيزداد فى خلال السنين التى تلى الحرب مباشرة ، ولذا رأى أن عليه أن يحمى الامبراطورية الألمانية الحديثة ، وهى من صنع يده ، ويجعلها قوية بنفسها ، قوية بإبقاء فرنسا ضعيفة معزولة ، قوية بإنشاء علاقات وثيقة مع الدولتين العظيمتين اللتين تتاخمان ألمانيا فى الشرق وفى الجنوب وهما روسيا والنمسا

ولم تفتأ هذه السياسة أن اجتازت كثيراً من العقبات التى اعترضتها فى طريقها فأدت إلى حلف الأباطرة الثلاثة : قيصر روسيا وإمبراطور ألمانيا ، وإمبراطور النمسا ، ثم تطورت العلاقات بين الامبراطورين الاول والثانى خلال الأزمات الصغيرة التى نشأت فى أوروبا قبل الحرب العظمى الماضية من علاقات ودية إلى علاقات فاترة وأخيراً إلى علاقات تتظاهر بالصداقة حتى إذا ما حانت ساعة الخطر أصبحت هذه العلاقات هباء وقامت على أنقاضها البغضاء التى اصطبغت بها الأيام القلائل السابقة للحرب العظمى ، وظلت العلاقات بين العاملين النمسوى والألمانى على ما هى عليه إلى النهاية والذى يلاحظ هنا أن صداقة ألمانيا مع النمسا هى التى أدت إلى قطع علاقاتها مع الروسيا فى الأيام العصيبة فلم تكن ألمانيا طرفاً فى مشكلة سيراقيجو الناشئة عن اغتيال ولى عهد النمسا ، بل كانت صربيا والنمسا ، هما المعنيان بهذه المشكلة ولكن الصداقة هى التى ورطت ألمانيا وأرغمتها على المغامرة

فآثار الحرب السبعينية كانت إلى سنة ١٩١٣ ذات شأن خطير فى تطور السياسة الأوروبية وتطور العلاقات التى تربط مختلف دول أوروبا ثم أصبحت أكثر وضوحاً عندما اعتبرت سبباً من الأسباب غير المباشرة للحرب الأوروبية العظمى التى اندلعت ألسنتها فى فى القارة فى سنة ١٩٣٤ (١) ؟

ع . ط

(١) المرجع ، تأليف البرفسور فاى فى أسباب الحرب العظمى